المختلفة. وهؤلاء الأفراد ورثوا معلوماتهم الواحد عن الآخر أو اكتسبوها بالتجربة، ولم تكن معلوماتهم مستندة إلى كتاب وقرطاس وتدريب صحيح. على ان الفن الممتاز وفي نفس الوقت العام للعرب هو في قريحتهم وذوقهم الفطري المتجلي في خطبهم وكلامهم وأشعارهم وعلى حد قول الجاحظ «كل ما قالته العرب كأنه عن إلهام وبديهة، وبدون أي تفكر وتأمل، تتدفق كالسيل عباراتهم البليغة بمعانيها الرائعة»، على أن هذه القدرة الخلاقة والموهبة، كما تشهد أشعار وأدبيات عصر الجاهلية، قد صرفت في غير مواضعها، حيث استخدمت في الفخر بالنفس وتمجيد مفاخر الأجداد ومعاركهم الدامية، والتغزل بالمعشوق، والهجاء، والمدح أو السخرية. ودواوين شعراء الجاهلية، بنفس القدر الذي تعتبر مظهراً لفن البلاغة وحب القتال لدى هؤلاء القوم، فهي أيضاً تعد تجلياً للانحطاط الأخلاقي والمفاسد الاجتماعية لهم. لكن نفس هذه السابقة الأدبية الممتدة، قد رفعت العربية إلى أوج الفصاحة والبلاغة، وهيأتها لتعبر عن أرق العواطف وأدق الأفكار والخواطر، وضمناً فقد هيّأت هذه السابقة العقل العربي لنيل أعلى المعارف الإلهية. والقرآن حيث يعتبر الذروة في البلاغة، يشير إلى مخاطبة قوم ذواقين يفهمون الكلام ووزنه ويدركون نكاته ودقائقه، وبهذا فقد خضعوا لتأثير القرآن وجاذبيته الخاصة، وإلاّ فليس في المخاطبة بالكلام الفصيح والعميق لقوم سطحيين لا يفهمون معانيه ودقائقه، إلاّ كمخاطبة الصمّ وإذا ولّوا مدبرين. ومن طيات الآيات يتضح أن القرآن نزل بلسان بسيط قابل لدرك العرب، وعبارة «بلسان عربي مبين» ومرادفاتها في القرآن، إشارة لهذه النكتة. ولا ننكر